مسالك القرآن في الاستدلال على الألوهية

د. فهد بن أحمد مسلم النمري
الاستاذ المساعد بقسم الشريعة جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل- المملكة العربية السعودية
falnemari@iau.edu

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٩/٢٥م
تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١٠/١٩م
تاريخ النشر: ٢٠٢٤/١١/١م

ملخص البحث:

إن الخلاف الواقع بين الرسل وأقوامهم كان حول توحيد الألوهية، وهناك قصور عند كثير من الناس حول هذا الأمر، لذا وجب تجلية توحيد الألوهية حتى يحذر الناس من المخالفة في توحيد الألوهية. فمن هنا كان هذا البحث يهدف إلى التعرف على مفهوم حقيقة توحيد الألوهية، وأهميته، وبيان جملة من مسالك القرآن في تقريره والاستدلال عليه، والتي تتلخص في أربعة مسالك: الأول: مسلك القرآن الكريم في الاستدلال بالربوبية على الألوهية، والثاني: مسلك القرآن في الاستدلال بالصفات على الألوهية، والثالث: مسلك القرآن في الاستدلال بضرب الأمثال على الألوهية، والرابع: مسلك القرآن في الاستدلال على الألوهية ببطلان عبادة الأوثان، متبعًا في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي لنصوص القرآن الكريم التي تدل على الألوهية وبيان حقيقتها، مسترشدًا بكلام أهل العلم من المفسرين والعلماء الربانيين.

مع إضافة جملة من النتائج الـمُبيّنة لعظمة توحيد الألوهية؛ والتي من أعظمها وأجلها أنَّ الله خلق الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل لأجله.

الكلمات المفتاحية: توحيد الألوهية، توحيد القصد والطلب، مسالك الاستدلال.

الإحالة: النمري، د. فهد بن أحمد مسلم، ٢٠٢٤، مسالك القرآن في الاستدلال على الألوهية ، .مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١١-(٤٥)، ٦٥-١٠٧.

The Holy Qur'an's approaches to proving Allah's Oneness

Dr. Fahad bin Ahmed Muslim Al-Namari

Assistant Professor, Department of Sharia, Imam Abdul Rahman bin Faisal University, Saudi Arabia

Received (date): 25/09/2024
Accepted (date): 19/10/2024
Published (date): 01/11/2024

Abstract:

This article aims to recognize the Holy Qur'an's approaches to proving divinity, highlighting that the disagreement between messengers and their people was about Allah's Oneness. It also aims to clarify the concept of the reality of Allah's Oneness, its importance, and to clarify four approaches: i) the Holy Qur'an's approaches to proving Allah's Oneness through his Lordship, ii) the Holy Qur'an's approaches to proving Allah's Oneness through His Attributes, iii) The Holy Qur'an's approaches to proving Allah's Oneness through parables, and vi) the Holy Qur'an's approaches to proving Allah's Oneness through invalidating the worship of idols. The study employs the inductive analytical approach to analyze Ayats of Allah's Oneness shown by interpreters, and pious scholars. It concludes that Alah has created creation, revealed the books, and sent the messengers for it.

Keywords: Oneness of divinity, oneness of intent and request, approaches of proof.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد: فهذا بحث مختصر في بيان مسالك القرآن في الاستدلال على توحيد الألوهية.

أسباب اختيار الموضوع: هناك عدة أسباب دعت للكتابة في هذا الموضوع منها:

١. أهمية عقيدة التوحيد؛ وكونها أساس الرسالات السماوية.

٢. وضوح وبساطة منهج القرآن الكريم في تقرير التوحيد.

٣. أن الخلاف الأساسي بين الرسل وأقوامهم كان حول مفهوم الألوهية، مما يبرز أهمية دراسة هذا الموضوع.

٤. تأثير الفلسفة والجدل العقيم في تعقيد مسائل التوحيد، والحاجة إلى العودة للمنهج القرآني الأصيل.

٥. رغبة الباحث في تقديم صورة واضحة لمسالك القرآن في تقرير توحيد الألوهية كما وردت في القرآن الكريم، بالاعتماد على حجج وبراهين قرآنية.

٦. تعزيز اليقين وإظهار قوة الحجة بالدعوة إلى توحيد الألوهية وفق منهج الأنبياء -عليهم السلام-.

مشكلة البحث:

١. **تعدد وتنوع مسالك القرآن في الاستدلال على الألوهية**: أحد التحديات الرئيسية هو التنوع الكبير في مسالك القرآن الكريم لتقرير توحيد الألوهية، مما يتطلب جهدًا كبيرًا في تتبع هذه المسالك واستقرائها من النصوص القرآنية المختلفة.

٢. **الاختلاف بين مناهج العلماء في تفسير نصوص الألوهية**، خاصة بين السلف والمتكلمين، فيما يخص فهم توحيد الألوهية، وهو ما يتطلب توضيحًا واستيعابًا عميقًا لهذه الفروقات.

تساؤلات البحث:

١. ما الأساليب القرآنية المتبعة في الاستدلال على الألوهية والتوحيد؟

٢. كيف يستدل القرآن على وحدانية الله من خلال الربوبية؟

٣. ما دور الصفات الإلهية في إثبات ألوهية الله من خلال النصوص القرآنية؟

٤. كيف يستخدم القرآن الأمثال والتشبيهات لإثبات الألوهية؟

٥. ما هي أساليب القرآن في إبطال عبادة غير الله؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

١. التعرف على مفهوم حقيقة توحيد الألوهية.

٢. بيان أهمية توحيد الألوهية في العقيدة الإسلامية، ودوره في تعزيز الإيمان لدى المسلمين.

٣. استعراض وتحليل جملة من مسالك القرآن في تقرير توحيد الألوهية والاستدلال عليه.

٤. توضيح الأسلوب القرآني في استدلاله على وحدانية الله من خلال الربوبية.

٥. بيان دور الصفات الإلهية في إثبات ألوهية الله في القرآن الكريم.

٦. استكشاف كيفية استخدام القرآن للأمثال والتشبيهات لإثبات الألوهية.

٧. عرض الطرق التي يستخدمها القرآن في إبطال عبادة غير الله، وتفنيد حجج المشركين.

٨. إبراز العلاقة بين هذه المسالك القرآنية وتثبيت عقيدة التوحيد في نفوس المسلمين عبر العصور.

الدراسات السابقة:

قد كُتبت دراسات تتكلم عن أساليب القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية، ومن تلكم الدراسات التي اطلعت عليها:

١- أدلة تقرير توحيد الألوهية في القرآن الكريم - دراسة عقدية تحليلية - للباحثة عبير عبد الرحمن الشهري [1]، احتوت هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، أما المقدمة: فقد احتوت على أهمية توحيد الألوهية، وأنه موضوع دعوة الرسل، الذي من أجله أُنزلت الكتب، وبيان ما يترتب على مخالفته من الوقوع في الشرك والبدع. وأما التمهيد: فقد احتوى على مسائل ثلاث؛ الأولى: الأدلة القرآنية أنواعها وخصائصها، والثانية: حقيقة التوحيد وأقسامه والعلاقة بينهما، والثالثة: توحيد الألوهية، وأسماؤه، وأهميته. وأما الفصول الثلاثة فهي كالآتي: الفصل الأول: الأدلة على إثبات توحيد الألوهية، والفصل الثاني: الأدلة على بطلان عبادة ما سوى الله، والفصل الثالث: الأدلة الجامعة بين إثبات توحيد الألوهية والنهي عن الشرك.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبين البحث: إن وجه الاختلاف الأساسي بين دراستي وبين هذه الدراسة يكمن في أهدافي ومنهجيتي، فهذه الدراسة جوهرها هو بيان أساليب القرآن في تقرير توحيد الألوهية، بينما دراستي تختص ببيان مسالك القرآن في الاستدلال على توحيد الألوهية،

وبينما تركز دراسة الباحثة عبير الشهري على تنوع الأدلة القرآنية لتقرير توحيد الألوهية واستخدام الأساليب المختلفة في إثباته، تتناول دراستي الجانب التطبيقي في فهم الأدلة والطرق المثلى لتقديمها لجمهور معاصر من خلال منهج استقرائي تحليلي يجمع بين الجوانب العقائدية والتطبيقات اليومية، وهو ما يشكل بُعدًا مغايرًا عن المنهج التحليلي النظري الذي تتبعه الدراسة السابقة.

٢- أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية تعددها وأنواعها – دراسة دعوية تحليلية – للباحث د. نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر [٢]، ذكر الباحث في بحثه المكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وقد تناول الباحث في المقدمة الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ثم أهداف البحث والتساؤلات والدراسات السابقة في الموضوع ومنهج البحث. وأما المبحث الأول فقد تناول الحديث عن مفهوم التوحيد، وأقسامه، وثمرة هذا التقسيم، وبيَّن فيه مفهوم التوحيد في اللغة والاصطلاح وموضوعات علم التوحيد وأقسامه الثلاثة توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. وفي المبحث الثاني جاء الحديث عن أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية وبيان تعددها وأنواعها وكان ذلك في أربعة مطالب شملت الأساليب الفطرية في الدعوة إلى إثبات توحيد الألوهية، ثم أساليب الإعجاز العلمي والحسي في خلق الإنسان والكون، إضافة إلى أساليب الحوار ورد الشبهات عن توحيد الألوهية. وأساليب القرآن الكريم في إثبات أن العبادة يجب أن تكون لله وحده سبحانه وتعالى، ثم بيان عجز آلهة المشركين عن النفع والضر وبيان عاقبة من أنكر توحيد الألوهية.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبين البحث: الاختلاف بين دراستي ودراسة الباحث د. نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر يتمثل في منهجية التقسيم والتركيز على مسالك الاستدلال في القرآن الكريم. دراستي تعتمد على تقسيم البحث إلى خمسة مباحث تركز على مسالك الاستدلال بالربوبية، الصفات، ضرب الأمثال، وبطلان عبادة الأوثان لتقرير توحيد الألوهية، بينما ركزت دراسة الباحث على تحليل أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية، مشيراً إلى أساليب مثل الفطرة، الإعجاز العلمي، والحسي، وأساليب الحوار ورد الشبهات.

٣- أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية، للباحث محمد إبراهيم أحمد إبراهيم [٣]، ذكر الباحث في بحثه أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية، الذي يتكون من مقدمة ومبحثين وجملة مطالب، وخاتمة، وقد تناول الباحث في المقدمة الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، فجعل المبحث الأول في أهمية توحيد الألوهية والدعوة إليها، وأن قضية توحيد الألوهية هي أعظم قضية على الإطلاق عند الأنبياء والمرسلين والصالحين والمصلحين، وتكلم في المبحث الثاني في

أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية، وجعله في أحد عشر مطلبًا، وجعل الخاتمة في أربع نقاط، الأولى: أن الألوهية هي القضية الأولى عند الأنبياء والرسل، والثانية: أن التوجه بالألوهية والعبودية لله تعالى هي مفتاح الخير والصلاح، وأن التوجه بها لغير الله تعالى هي مفتاح الفساد والشر، أن عناية القرآن بالألوهية عناية عظيمة وجليلة، أن أساليب القرآن في عرض الألوهية أساليب قوية ومقنعة.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبين البحث: دراسة الباحث محمد إبراهيم أحمد إبراهيم ركزت على أساليب القرآن الكريم في تقرير الألوهية، وقسّم بحثه إلى مقدمة ومبحثين، حيث تناول في المبحث الأول أهمية توحيد الألوهية، وفي المبحث الثاني أساليب القرآن في تقرير الألوهية في أحد عشر مطلبًا. أما في دراستي، فتختلف في الخطة والمنهجية، حيث أركز على تقسيم استدلالات القرآن الكريم بالألوهية في خمسة مباحث تتناول الربوبية، الصفات، الأمثال، وبطلان عبادة الأوثان. كما أن دراستي تهدف إلى تحليل أكثر تخصصًا في مسالك الاستدلال بالألوهية من خلال منهجية قرآنية مقارنة، بدلًا من التركيز على أساليب عامة أو مطالب متعددة كما في الدراسة السابقة.

٤- مسالك النصوص الشرعية في بناء توحيد الألوهية وإبطال الشرك فيه، للباحث سلطان بن عبد الرحمن العميري [٤]، ذكر الباحث في بحثه دراسة المسالك التي اعتمدت عليها النصوص الشرعية في بيان حُسن التوحيد وقبح الشرك، وبيان ثراء تلك المسالك وتنوعها وتَعدُّد مجالاتها، فبعضها مسالك عقلية، وبعضها مسالك نفسية، وبعضها مسالك حياتية. وقد أبرز الباحث مشكلة البحث في أنه يعالج المسالك التي اعتمدت عليها النصوص الشرعية في إثبات التوحيد وإبطال الشرك، وجعل البحث يهدف إلى الكشف عن ثراء النصوص الشرعية في أدلتها وبراهينها، وتعزيز اليقين بأصول الدين وكليَّاته الكبرى، وتقوية أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبين البحث: دراسة الباحث سلطان بن عبد الرحمن العميري ركزت على تنوع المسالك الشرعية في بيان حُسن التوحيد وقبح الشرك من خلال نصوص الكتاب والسنة، واستخدمت منهج التحليل والاستنباط للكشف عن ثراء هذه المسالك من نواحٍ عقلية، نفسية، وحياتية، بهدف تعزيز اليقين بأصول الدين وتقوية أساليب الدعوة. أما دراستي فتختلف في الخطة والأهداف والمنهجية؛ حيث تركز بشكل خاص على مسالك الاستدلال بالألوهية في القرآن الكريم من خلال الربوبية، الصفات، الأمثال، وبطلان عبادة الأوثان، مع تقسيم الدراسة إلى خمسة مباحث محددة، مما يجعل المنهجية في دراستي أكثر تخصصًا في الاستدلال القرآني على الألوهية.

٥- دلائل توحيد الألوهية، للباحث على محمد ثاني[٥]، تسعى دراسة الباحث علي محمد ثاني إلى إثبات توحيد الألوهية باستخدام المنهج الاستدلالي المعتمد على النصوص الشرعية من القرآن والسنة، تتوزع الدراسة على ثلاثة أبواب: الأول يتناول الدلائل الفطرية مثل فطرة الإنسان على توحيد الألوهية وعلاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية، والثاني يناقش الدلائل الشرعية من خلال بعثة الرسل والكتب السماوية ودلالة شهادة الله والحكمة من خلق الجن والإنس، أما الثالث فيركز على الدلائل العقلية كالآيات في الأنفس والآفاق وضرب الأمثال ودليل التمانع.

أوجه الاختلاف بين هذه الدراسة وبين البحث: الاختلاف بين دراستي ودراسة الباحث علي محمد ثاني يكمن في المنهجية والمحاور التي يتم التركيز عليها، فعلي يتبع المنهج الاستدلالي، معتمدًا على النصوص الشرعية والأدلة النقلية في إثبات توحيد الألوهية من خلال دلائل الفطرة، الربوبية، الأسماء والصفات، والعقل، بينما دراستي تتبع المنهج الاستقرائي، مركزاً على تحليل المسالك القرآنية المتنوعة في تقرير الألوهية وإثبات وحدانية الله، مع التركيز على أساليب القرآن في الجدل وإبطال عبادة الأوثان، بالإضافة إلى ذلك، تعتمد دراستي بشكل أكبر على التفاسير القرآنية في تحليل الأساليب المستخدمة، في حين أن دراسة علي محمد ثاني توسعت في الاستناد إلى النصوص الحديثية والمرويات.

منهج البحث: نهجت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، مع بذل الوسع في تتبع النصوص الواردة في الموضوع، وكلام أهل العلم حيالها، مع عزو الآيات إلى سورها، وتخريج مختصر للأحاديث.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: تشمل هذه الدراسة النصوص القرآنية والسياقات التي ظهرت فيها منذ نزول القرآن الكريم وحتى اكتماله. وسيتم التركيز على تفسيرات العلماء عبر التاريخ وصولًا إلى التفسير المعاصر دون الالتزام بفترة زمنية محددة، مما يتيح تحليلًا شاملًا لموضوع الألوهية عبر العصور.

الحدود المكانية: تتناول هذه الدراسة النصوص القرآنية المتعلقة بالألوهية بغض النظر عن المكان الجغرافي الذي نزلت فيه أو المفسرين الذين قدموا تفسيراتهم لهذه النصوص، سواء في العالم العربي أو الإسلامي.

خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، يتلوها فهرس للمراجع، وآخر للمحتوى، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلته، وتساؤلاته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدود الدراسة..

المبحث الأول: عن مفهوم الألوهية، وأهميته.

المبحث الثاني: مسلك القرآن في الاستدلال بالربوبية على الألوهية.

المبحث الثالث: مسلك القرآن في الاستدلال بالصفات على الألوهية.

المبحث الرابع: مسلك القرآن في الاستدلال بضرب الأمثال على الألوهية.

المبحث الخامس: مسلك القرآن في الاستدلال على الألوهية ببطلان عبادة الأوثان.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: مفهوم الألوهية، وأهميته

أولًا: مفهوم الألوهية:

الألوهية لغة: مصدر من أله يأله، أي: عبد يعبد، وأله - بالفتح - إلاهة، أي عبد عبادة(٦)، "والإلاهَة، والأُلوهَة، والأُلُوهِيَّةُ: الْعِبَادَة"(٧).

فالإله معناه (المعبود) فهو معبود بالمحبة والتوكل والرضا والخوف والرجاء والإنابة والرغبة والرهبة، وما إلى ذلك من أنواع العبادات، ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف: ٨٤] قال قتادة: "يعبد في السماء ويعبد في الأرض"(٨).

والألوهية صفة لله تعالى تعني استحقاقه - جلَّ وعلا - للعبادة بما له من الأسماء والصفات والمحامد العظيمة؛ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: "والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين"(٩).

الألوهية اصطلاحًا:

إن المعنى المتقرر عند أهل اللغة هو الذي قرره غيرهم من أهل العلم بأن الإله هو المعبود المستحق للعبادة لكمال ذاته وصفاته، فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع"(١٠).

وكذلك قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "فإن الإله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال وهو الذي تألهه القلوب وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له مع كمال المحبة والإنابة"(١١).

وبهذا يتبيَّن بطلان قول من فسر (الإله) بأنه القادر على الاختراع[١٢]، أو القادر على الخلق، كما بيَّن ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله رحمه الله: "والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الآلِه بمعنى القادر على الخلق، فإذا فَسَّر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أنَّ هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من المتكلمة الصفاتية... لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله؛ فإنَّ مشركي العرب كانوا مقرّين بأنَّ الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين"[١٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وعلى هذا إذا كانت "الله" بمعنى (الإله) أصلًا فإنها فِعَال بمعنى مَفْعُول، (فإله) بمعنى: مألوه، أي: معبود محبب محبوب معظم، وليست إله بمعنى: آله كما زعم ذلك المتكلمون؛ لأنهم يفسرون الإله بأنه القادر على الاختراع، وهذا خطأ عظيم، ولكن معنى الإله: المعبود حقًا"[١٤].

ثانيًا: أهمية توحيد الألوهية:

يعتبر توحيد الألوهية - توحيد العبادة - أهم أنواع التوحيد وأعظمها؛ وذلك لأسباب كثيرة منها:

أولًا: أنه الحكمة من خلق الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا"[١٥]، وقال الإمام الشَّافِعِي رحمه الله: "خلق الله تعالى الخلق لعبادته"[١٦].

ثانيًا: أنه الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: "أُرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد"[١٧]، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وإنما أُرسلتِ الرسلُ وأُنزلت الكتب لذلك، فالعبادة حقُّ الله على عباده"[١٨].

ثالثًا: أنه أول ما تصدر به الأوامر الإلهية قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]. يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله: "يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآفاق والحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته"[١٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: "يعني بذلك تعالى ذكره: حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره"[٢٠].

رابعًا: أنه أول واجب على المكلف كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما بعث معاذًا لأهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى»[٢١]. وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»[٢٢].

قال ابن أبي العز رحمه الله: "ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشَّك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم. بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان"[٢٣].

خامسًا: أنه حق الله على العباد المقتضي لثبوت حق لهم على الله، كما ورد في الصحيحين من حديث معاذ - رضي الله عنه -، أنَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: «هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله اعلم قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»[٢٤].

وهذا الحق ثابت بمقتضى الفضل والإنعام من الله خلافًا لمن جعله بمعنى مجرد الخبر أو جعله بمعنى العوض[٢٥].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "والله تعالى - بفضله وكرمه، ومحض جوده وإحسانه - أكد إحسانه وجوده وبره بأن أوجب لعبده عليه سبحانه حقًا بمقتضى الوعد. فإن وعد الكريم إيجاب... والمقصود: أن عدم رؤية العبد لنفسه حقًا على الله لا ينافي ما أوجبه الله على نفسه. وجعله حقًا لعبده. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ، أتدري ما... الحديث"[٢٦].

المبحث الثاني: مسلك القرآن في الاستدلال بالربوبية على الألوهية.

يعتبر توحيد الربوبية من أعظم الأدلة التي يحتج بها الله على وجوب إفراده تعالى بالألوهية؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية أمر فطري وهو بوابة الدعوة لتوحيد الألوهية.

وقد أشار العلامة ابن القيم إلى هذه العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، حيث قال رحمه الله: "إن توحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية، فإن أول ما يتعلق القلب بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج به عليهم، ويقررهم به ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية"[٢٧].

وكل عاقل لبيب إذا تدبر طريقة القرآن، وجد أن الله تعالى يدعو عباده بتوحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – أنَّ: "ربه هو الذي خلقه ورزقه، وبصره، وهداه وأسبغ عليه نعمه، فإذا مسه الله بضر فلا يكشفه عنه غيره، وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه، وهذا يقتضي التوكل على الله والاستعانة به، ودعاءه، ومسألته دون ما سواه ويقتضي أيضًا محبة الله وعبادته والإحسان إلى عبده"(٢٨).

ولهذا يكرر الله - سبحانه وتعالى - ذكر توحيد الربوبية في مواضع كثيرة من كتابه إقامة للبراهين الساطعة والدلائل الواضحة والحجج المقنعة على وحدانيته، ووجوب عبادته، وطاعته، وحبه، والذل والخضوع له، ووجوب الكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه عما سواه (٢٩).

وسوف استعرض بعض الآيات التي تدل على ذلك مع ذكر بعض أقوال أهل العلم فيها، من ذلك:

١ - قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

يقول الامام الطبري رحمه الله: "فأمرَ جل ثناؤه الفريقين - اللذين أخبرَ الله عن أحدهما أنه سواءٌ عليهم أأنذروا أم لم يُنذروا أنهم لا يؤمنون، لطبْعِه على قلوبهم وعلى سمعهم، وعن الآخرِ أنه يُخادع اللهَ والذين آمنوا بما يبدي بلسانه من قيله: آمنّا بالله وباليوم الآخر، مع استبطانه خلافَ ذلك، ومرض قلبه، وشكّه في حقيقة ما يُبدي من ذلك; وغيرهم من سائر خلقه المكلَّفين - بالاستكانة، والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة؛ لأنه جلَّ ذكره هو خالقهم وخالقُ مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالقُ أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم. فقال لهم جل ذكره: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادَكم وسائرَ الخلق غيرَكم، وهو يقدرُ على ضرّكم ونَفعكم - أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نَفع ولا ضرٍّ"(٣٠).

فالإمام الطبري يبرز تأكيده على أن الله هو الخالق والمدبر للكون، مما يجعله الأحق بالطاعة والعبادة دون غيره، ويُظهر أن الله يحتج بتوحيد الربوبية على وجوب توحيد الألوهية، وهذا يظهر من خلال قوله بأن الله هو الذي خلق الإنسان وأجداده، وهو الذي يقدر على نفعهم أو ضرهم، في حين أن الأوثان التي يعبدونها لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا. هذا النوع من الحجج يشير إلى العقلانية الكامنة في دعوة القرآن إلى إفراد الله بالعبادة، حيث يُطلب من الإنسان أن يستجيب لنداء الفطرة ويعبد من يملك القدرة المطلقة. وكلام الإمام الطبري يعكس رؤية متسقة مع النهج القرآني في استدعاء العقل والنظر إلى الأدلة الكونية لدعم وجوب عبادة الله وحده.

ويقول ابن كثير رحمه الله: "شـرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشًا، أي: مهدا كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]. وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وأنزل لهم من السماء ماء - والمراد به السحاب هاهنا - في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد؛ رزقا لهم ولأنعامهم، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن. ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤]. ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢] (٣١)".

يركز ابن كثير رحمه الله بشكل كبير على مظاهر النعم الإلهية التي يشاهدها الإنسان في حياته اليومية، مثل خلق الأرض وجعلها فراشًا، والسماء سقفًا، وإنزال المطر الذي يخرج به الزرع والثمرات. هذه النعم، كما يوضح ابن كثير، تشكل دليلًا واضحًا على استحقاق الله وحده للعبادة، وذلك لأن هذه النعم تستوجب من العباد شكر الله وعبادته. فابن كثير يُلفت النظر إلى الترابط الوثيق بين توحيد الربوبية (إقرار الإنسان بأن الله هو الخالق والمدبر) وتوحيد الألوهية (إفراد الله بالعبادة).وكلامه يسير في اتجاه توضيح أن الإنسان يجب أن ينظر إلى هذه الأدلة البينة في الكون كنقاط انطلاق لتوحيد الله في العبادة، محذرًا من اتخاذ أنداد لله، وهم يعلمون أنه وحده الذي ينعم عليهم.

٢ - ومن الآيات أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: "وأما قوله: "لا إله إلا هو"، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيرُه، ولا يستوجبُ على العبادِ العبادةَ سواه، وأنَّ كلَّ ما سواه فهُم خَلقه، والواجبُ على جميعهم طاعته والانقيادُ لأمره، وتركُ عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجْر الأوثان

والأصنام. لأن جميع ذلك خلقُه، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة، ولا تَنبغي الألوهة إلا له،...ثم عرَّفهم تعالى ذكره بالآية التي تتلوها، موضعَ استدلال ذوي الألباب منهم على حقيقة ما نبَّهم عليه من توحيده وحُججه الواضحة القاطعة عُذرَهم، فقال تعالى ذكره: أيها المشركون، إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر: من أنّ إلهكم إله واحد، دونَ ما تدَّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان، فتدبروا حُججي وفكروا فيها، فإن من حُججي خَلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلكُ التي تجري في البحر بما يَنفعُ الناس، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها، وما بثثتُ فيها من كل دابة، والسحاب الذي سَخرته بين السماء والأرض... فليتدبر أولو الألباب إيجازَ الله احتجاجَه على جميع أهل الكفر به والملحدين في توحيده، في هذه الآية وفي التي بعدها، بأوْجز كلام، وأبلغ حجة وألطف معنى يشرف بهم على مَعرفة فضْل حكمة الله وبَيانه"(٣٢).

فالإمام الطبري في تفسيره للآيتين يركز على مفهوم توحيد الألوهية من خلال توحيد الربوبية. فالآية تُبرز أن الله هو الإله الواحد، الذي لا شريك له في العبادة، لأنه الخالق لكل شيء في الكون. ويشير الطبري إلى أن جميع المخلوقات، بما في ذلك الأوثان التي يعبدها المشركون، هي من خلق الله ولا تستحق العبادة. الطبري يركز على أن الله يقدم حججًا عقلية قاطعة من خلال مظاهر خلق الكون، مثل السماء والأرض، والليل والنهار، والمطر الذي يحيي الأرض، والسحاب المسخّر. كل هذه الأدلة تدعو العقلاء إلى التفكر وتؤكد على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، وأن عبادة غيره مبنية على الجهل والغفلة عن هذه الحجج الواضحة.

ويقول ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية، وأنه لا شريك له ولا عديل له، بل هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا إله إلا هو وأنه الرحمن الرحيم... ثم ذكر الدليل على تفرده بالإلهية بتفرده بخلق السموات والأرض وما فيهما، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته"(٣٣).

فهنا يؤكد ابن كثير أيضًا على توحيد الألوهية عبر توحيد الربوبية. في تفسيره، ويوضح أن الله هو الإله الوحيد الذي يستحق العبادة لأنه المتفرد بخلق السماوات والأرض وما فيهما. فابن كثير يشير إلى أن خلق الله للكون وما فيه من نظم بديعة هو دليل واضح على وحدانيته، كما أنه يُظهر أن التفكر في هذه المخلوقات الكونية يقود إلى الاستنتاج بأن الله هو الرب الذي لا شريك له، وهو الرحمن الرحيم. هذا الربط بين تفرد الله في الخلق وبين استحقاقه للعبادة ينسجم مع منهج القرآن في الاستدلال بتوحيد الربوبية على وجوب توحيد الألوهية.

٣ - ومنها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء، وآلهتكم التي لا تملك نفعًا ولا ضرًا، ولا تفعل خيرًا ولا شرًا "لا إله إلا هو" وهذا تكذيبٌ من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله. يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادةُ جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، يقول: فذلُّوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢]، يقول: والله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته"[٣٤].

يُركز تفسير الطبري على توحيد الألوهية من خلال توحيد الربوبية، حيث يبين أن الله هو الخالق لكل شيء، ولذلك هو الأحق بالعبادة دون شريك. ويشير إلى أن عبادة غير الله، سواء كانت الجن أو الأوثان، هي جهل وضلال لأن هذه المعبودات لا تملك نفعًا ولا ضرًا، وأن العبادة يجب أن تكون خالصة لله وحده باعتباره خالق كل شيء ومدبره، وأن الله هو الوكيل، أي الرقيب والحفيظ، الذي يتولى شؤون الخلق كافة. هذا التفصيل يؤكد أن توحيد الألوهية ينبني على الإقرار بأن الله هو الخالق والمتصرف في الكون.

ويقول ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ﴾ أي: الذي خلق كل شيء ولا ولد له ولا صاحبة، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ فاعبدوه وحده لا شريك له، وأقروا له بالوحدانية، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ أي: حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار"[٣٥].

فيُؤكد ابن كثير على نفس المفهوم حيث يشير إلى أن الله هو الرب الذي خلق كل شيء، وأنه لا شريك له في الألوهية. ويركز ابن كثير على نفي الشركاء والأنداد، موضحًا أن الله ليس له ولد ولا صاحبة، مما يعزز وحدانيته الكاملة، ويستدل على ذلك بتوكيد أن الله هو الوكيل، أي الحفيظ والرقيب، الذي يدبر شؤون الخلق ويرزقهم ويقوم برعايتهم.

والآيات في ذلك كثيرة ومما تجدر الإشارة إليه أن الله سبحانه وتعالى يخاطب الكفار في توحيد الربوبية باستفهام التقرير فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده،

ووبخهم منكرًا عليهم شـــركهم بـه غيره، مع اعترافهم بأنـه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنـه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده (٣٦).

٤- ومن ذلك الآيات في ســورة النمل من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

يقول الشـيخ الشـنقيطي معلقًا على هذه الآيات: "وقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠]، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم البتة غيره: هو أنَّ القادرَ على خلق الســموات والأرض وما ذكر معها خير من جماد لا يقدر على شــيء، فلمّا تعيَّن اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠﴾ [النمل: ٦٠]، ثم قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ [النمل: ٦١]، ولا شـــكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب غيره كما قبله، فلمّا تعيَّن اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾ [النمل: ٦١]، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل:٦٢]، ولا شــكَّ أنَّ الجواب كما قبله، فلمَّا تعيَّن إقرارهم بذلك وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل:٦٢]، ثم قال تعالى: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾ [النمل:٦٣]، ولا شـــكَّ أنَّ الجواب كما قبله، فلمَّا تعيَّن إقرارهم بذلك وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٣﴾ [النمل:٦٣]، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل: ٦٤]، ولا شكَّ أنَّ الجواب كما قبلـه، فلمَّـا تعيَّن الاعتراف وبَّخهم منكرًا عليهم بقولـه: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦٤﴾ [النمل: ٦٤]،... ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضــع أن كل الأســئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية اســتفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة"(٣٧).

فالشيخ محمد الأمين الشنقيطي يُركز في تفسيره على أسلوب الاستفهام التقريري الذي استخدمه الله في هذه الآيات، حيث يُوجه أسئلة تدعو المشركين للاعتراف بعجز آلهتهم عن الخلق والتدبير. ويوضح أن هذه الأسئلة تقود إلى استنتاج منطقي واحد: أن الله وحده هو الخالق والمتصرف، وليس للأصنام أي دور في ذلك. ثم يعقب بتوبيخ المشركين على اعترافهم بتوحيد الربوبية، مع استمرارهم في الشرك في الألوهية، ويشير الشنقيطي إلى أن الإقرار بالربوبية يلزم منه الإقرار بالألوهية، ولكن المشركين ينحرفون عن هذا المنطق الواضح.

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآيات: "أي: من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور، ومن يرزقكم من السماء والأرض بالمطر والنبات؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٤]، يفعل ذلك ويقدر عليه؟ ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [النمل: ٦٤] أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [النمل: ٦٤]، وإلا فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات"[٣٨].

فالشيخ السعدي يقدم تفسيرًا مبسطًا للآيات يركز فيه على: أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق وإعادة الخلق يوم القيامة، ولا يشاركه في ذلك أحد. ويبين أن هذه الأدلة تُبطل دعوى المشركين في أن للأصنام قدرة على المشاركة في الخلق أو التدبير، ويطلب منهم البرهان على دعواهم، ويوضح السعدي أن المطلوب من المشركين هو تقديم دليل إذا كانوا صادقين في زعمهم، ولكنهم عاجزون عن ذلك. وبهذا، يُظهر السعدي أن الآيات تقود إلى نتيجة واحدة وهي أن الله وحده المستحق للعبادة، لأنه المتفرد بجميع التصرفات الكونية والربوبية.

المبحث الثالث: مسلك القرآن في الاستدلال بالصفات على الألوهية

ومن مسالك القرآن الكريم أيضًا: الاستدلال بالصفات على الألوهية، فان من يتصف بالكمال المطلق الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه هو الذي يستحق أن يعبد وحده دون من سواه، وهذا المسلك "ينتظم جميع ما ورد من صفات الكمال، فكلها أدلة على توحيد العبادة سواء أصرح بذكر لازمها، أو ذكرت مجردة"[٣٩]. "ولهذا كثر في نصوص القرآن والسنة التصريح بصفات الكمال ليعرف العباد ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتمتلئ قلوبهم بمحبته وصدق التوكل عليه، فإن التحقق بمعرفة صفات الإلهية يورث المحبة الخاصة المستلزمة لكمال الطاعة والعبادة"[٤٠].

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره. فتقدم أن التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواه... فنعوت الباري تعالى وصفات عظمته وتوحده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو"(٤١).

وكلام الشيخ السعدي رحمه الله عن التوحيد يعد من أجمل وأدق التعبيرات عن عظمة هذا الركن الأساسي في العقيدة الإسلامية، فحين يتحدث عن أن "المتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواه"، أجد في هذا الوصف بُعدًا عميقًا يشير إلى أن العقل والفطرة يتفقان تمامًا على استحقاق الله وحده للعبادة، فالخلق والتدبير والكمال المطلق ليست صفات نظرية، بل هي أدلة ملموسة تملأ الكون وتشهد على استحقاق الله للعبادة، وتثير في النفس شعورًا بالخضوع التام والافتقار إليه، ومما يميز طرح الشيخ السعدي هو أنه لا يكتفي بالاستدلال النقلي فحسب، بل يربط بين الدليل العقلي والنقلي بطريقة تجعلهما وجهين لعملة واحدة، ما يعزز من قوة هذا الاستدلال ويجعل الإنسان يدرك بعمق أن العبادة لله وحده هي النتيجة المنطقية والفطرية لتأمل هذه الصفات.

ومسلك القرآن في الاستدلال بالصفات على الألوهية ينطوي على آيات كثيرة جدًا، منها:

١- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله:" وأما قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾، فإنه يعني تعالى ذكره: أنه العالم الذي لا يخفي عليه شيء محيط بذلك كله، محص له دون سائر من دونه، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئًا إلا بما شاء هو أن يعلمه، فأراد فعلمه، وإنما يعني بذلك: أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلًا فكيف يعبد من لا يعقل شيئًا البتة من وثن وصنم؟! يقول: أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، يعلمها، لا يخفي عليه صغيرها وكبيرها"(٤٢).

يبرز تفسير الطبري لآية الكرسي أهمية صفة علم الله المحيط بكل شيء، حيث يُظهر أن الله وحده هو المستحق للعبادة لأنه العليم بكل الأمور، وهذا العلم المطلق هو ما يميز الله عن غيره، ومن خلال هذا الفهم يؤكد الطبري على بطلان عبادة الأوثان التي لا تعلم شيئًا ولا تملك قدرة على النفع أو الضر، كما يربط الطبري بين الصفات الإلهية، مثل العلم والقدرة، وبين استحقاق الله للعبادة، مؤكدًا أن هذه الصفات تمثل برهانًا عقليًا ونقليًا على توحيد الألوهية، ويستخدم الطبري

منهجًا متكاملًا يجمع بين الرواية والتحليل العقلي، ما يجعله مرجعًا مهمًا في بيان أن العبادة يجب أن تكون لله وحده، القادر على كل شيء.

٢- ومنها: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [آل عمران: ٢] يقول الطبري: "ومعنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناءَ لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله. فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة، والحي الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهًا. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت وأنَّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو"(٤٣).

ويقول الطبري عند قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦]: "وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسَه أن يكون له في ربوبيته ندٌّ أو مِثل، أو أن تَجوز الألوهة لغيره وتكذيبٌ منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا... ولجميع من ادّعى مع الله معبودًا، أو أقرَّ بربوبية غيره. ثم أخبر - جلَّ ثناؤه - خلقه بصفته، وعيدًا منه لمن عبد غيره، أو أشرك في عبادته أحدًا سواه، فقال: ﴿هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا ينصر من أرادَ الانتقام منه أحدٌ، ولا ينجيه منه وَأْلٌ ولا لَجَأٌ، وذلك لعزته التي يذلُّ لها كل مخلوق، ويخضع لها كل موجود. ثم أعلمهم أنه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢﴾ في تدبيره وإعذاره إلى خلقه، ومتابعة حججه عليهم، ليهلك من هلك منهم عن بيّنة، ويحيا من حيَّ عن بينة"(٤٤).

ففي تفسيره لآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [آل عمران: ٢]، يوضح الطبري أن الله يصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا تنقطع ولا تفنى، مخالفًا بذلك حال المخلوقات التي تموت وتنتهي، هذا التفرد في صفة الحياة الأبدية يجعل الله وحده المستحق للعبادة، فكل من عبد غيره إنما عبد مخلوقًا فانيًا، ويؤكد الطبري أن الإله الحق هو الذي لا يزول ولا يفنى، بعكس ما اتخذه المشركون من آلهة باطلة، كعيسى عليه السلام أو غيره.

وفي تفسيره للآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥]، ينزه الطبري الله عن أن يكون له ند أو شريك في الربوبية، مشيرًا إلى أن الألوهية لا تصح إلا لله وحده، فالله يُظهر نفسه بأنه القوي المتفرد بالقدرة، والذي لا يمكن لأي مخلوق أن يحمي نفسه من انتقامه أو يعصم من قدره، هذا الاستدلال يشير إلى عظمة الله وعزته التي تُذِلّ كل مخلوق، مما يبرز استحقاقه وحده للعبادة والطاعة، ويوضح بطلان الشرك أو عبادة غيره.

٣- ومن الآيات كذلك: ما ذكره الله في ســـورة البقرة بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

يقول ابن عاشور رحمه الله: "وقوله: الرحمن الرحيم وصفان للضمير، أي المنعم بجلائل النعم ودقائقها وهما وصــفان للمدح، وفيهما تلميح لدليل الألوهية والانفراد بها؛ لأنه منعم، وغيره ليس بمنعم وليس في الصــفتين دلالة على الحصــر، ولكنهما تعريض به هنا؛ لأن الكلام مســوق لإبطال ألوهية غيره، فكان ما يذكر من الأوصاف المقتضية للألوهية هو في معنى قصرها عليه تعالى"(٤٥).

فيركز ابن عاشــور على الربط بين صــفات الرحمة وبين إثبات ألوهية الله وانفراده بها، ويوضــح أن الصــفتان "الرحمن الرحيم" تدلان على كمال النعم والإحســان، وأن هذه الصــفات توحي ضــمنًا بتفرد الله بالألوهية، إذ إن هذه النعم لا تصــدر عن غيره، رغم أن الآية لا تتضــمن حصــرًا صــريحًا للألوهية لله، إلا أن ذكر الصفات يلمّح إلى أن غير الله ليس مؤهلًا لهذه الألوهية.

وقال الســعدي - رحمه الله - عند تفســيره لهذه الآية: "يخبر تعالى - وهو أصــدق القائلين - أنه ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسـمائه، وصـفاته، وأفعاله، فليس له شـريك في ذاته، ولا ســمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المســتحق؛ لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشــرك به أحد من خلقه، لأنه ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ المتصــف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي"(٤٦).

أما الشــيخ الســعدي في تفســيره يبين أن الآية تؤكد على توحيد الله في ذاته وأســمائه وصــفاته وأفعاله، مؤكدًا على أنه لا شـريك له في أي من هذه الجوانب، ولأن الله متفرد في هذه الصـفات فهو وحده المســتحق للعبادة، والســعدي يبرز أيضًــا صــفة الرحمة في الآية ويؤكد أن رحمة الله عظيمة وشاملة لكل شيء، مما يزيد من وضوح استحقاقه للعبادة دون شريك.

٤- ومن الآيات كذلك: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنه عالم غيب السماوات والأرض، وأنه إليه المرجع والمآب، وســيوفى كل عامل عمله يوم الحســاب، فله الخلق والأمر. فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه؛ فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه"(٤٧).

يقول الشــنقيطي رحمه الله: "ختم الله هذه الســورة الكريمة بهذه الخاتمة العظيمة، فكأنه يقول: الذي يأمركم وينهاكم جدير بأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى؛ لأنه متصف بصفات عظيمة تستوجب أن يفرد بالطاعة، وأن لا يعصى له أمر، فإنه يعلم السر وأخفى... وفائدة الترتيب

بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ الإشـــارة إلى نكتة؛ وهو أنه لا ينبغي أن يعبد ويخضـــع ويذل إلا لمن اتصف بهذه الصفات العظيمة"(٤٨).

ففي تفســـير الآية يركز ابن كثير على بيان علم الله المطلق بالغيب وأن إليه المرجع والمآب، موضحًا أن الله وحده من يســتحق العبادة والتوكل، لأنه مالك الأمر والخلق، ولأن كل شــيء يعود إليه في النهاية.

أما الشــنقيطي فيبرز عظمة الخاتمة القرآنية، حيث يوضح أن الله ســبحانه وتعالى، بصــفاته الجليلة كالعلم بالغيب والقدرة المطلقة، هو الجدير بالطاعة والعبادة وحده. يشـــير إلى أن الفاء في "فاعبده" تفيد أن هذه الصــفات تســتوجب من العباد الإذعان لله في كل أمر، لأن من يعلم الســر وأخفى ويملك الغيب هو الذي يجب أن يخضـــع له العبد، فكلا المفســـرين يركزان على الربط بين علم الله الشامل وغناه المطلق وبين استحقاقه للعبادة والتوكل، ويؤكدان أن هذه الصفات الإلهية تحتم الإخلاص لله وحده في العبادة والطاعة.

٥- ومن الآيات أيضًا: قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

يقول جمال الدين القاســـمي رحمه الله: "﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ أي: أثبت لها على الدوام. وقوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ أي: مثلًا وكفؤًا، فتلتفت إليه وتقبل بوجهك نحوه، فيفيض عليك مطلوبك. والجملة تقرير لوجوب عبادته وحده. أي إذا صح أن لا مثل له، ولا يستحق العبادة غيره، لم يكن بدّ من التسليم لأمره، والقيام بعبادته، والاصطبار على مشاقّها"(٤٩).

ويقول الســـعدي رحمه الله: "أي: هل تعلم لله مســـاميًا ومشـــابهًا ومماثلًا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميًا ولا مشابهًا؛ لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المســتحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما ســواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصــطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأســـماء الحسنى"(٥٠).

فيوضح القاسـمي أن الله سـبحانه وتعالى هو المتفرد في عظمته، بلا مثيل أو شـبيه، مما يجعل عبادة غيره باطلة، ويشـــير إلى أن الجملة تؤكد وجوب العبادة الخالصـــة لله وحده، والإقبال عليه بالصبر واليقين، لأن الله بلا نظير ولا شريك، ولذلك فهو وحده المستحق للعبادة.

أما السعدي فيوضح أن الاستفهام في الآية هو للتأكيد على نفي وجود أي مشابه أو مماثل لله تعالى، فالله هو الخالق والمستحق للعبادة، بينما غيره مخلوقون، ويؤكد أن الكمال المطلق لله وحده، وأن نقص المخلوقات يعني أن عبادتها باطلة، وبالتالي يجب إفراده بالعبودية، ويختم بتوضيح أن الاصطبار على العبادة هو نتيجة طبيعية لكمال الله وانفراده بصفات العظمة، فكلا المفسرين يركزان على أن الآية تقدم برهانًا على توحيد العبادة، من خلال نفي وجود أي مماثل أو مساوٍ لله، وهو ما يستدعي الخضوع التام له وحده.

المبحث الرابع: مسلك القرآن في الاستدلال بضرب الأمثال على الألوهية

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنه يضرب الأمثال؛ ويبين الحقائق من خلالها، فهي تقريب للحقائق، وتوضيح للمعاني، وقد ضرب الله تعالى في القرآن عدة أمثال ليبين للمشركين بطلان عبادة الأوثان، وأن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى، ومن الأمثال التي ضربها الله لبيان بطلان الشرك واستحقاقه للعبادة:

١- قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: "قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ فإن قال قائل: أين المثل؟ قلنا معناه: ضرب لي مثل أي: شبه لي مثل، على معنى أن المشركين اتخذوا الأصنام معي آلهة ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: استمعوا خبر الأصنام وحالها"(٥١).

ويقول ابن القيم رحمه الله: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره. فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه. وذلك أنَّ المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره. والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه. فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما سلبهم إياه. فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها. فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟ وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة، حيث أعطوا الآلهة التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات، والإحاطة بجميع المعلومات، والغني عن جميع المخلوقات، وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات،

وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، وإجابة الدعوات - فأعطوها الصور وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الإله الحق، وأذلها وأصغرها وأحقرها. ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه"(٥٢).

في هذه الآية العظيمة يبيّن الله تعالى ضعف الآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله، من خلال ضرب مثل واضح يجسد بطلان الشرك وعبثية عبادة غير الله، فالله تعالى يدعو الناس إلى التأمل في عجز هذه الآلهة التي لا تستطيع خلق ذبابة، رغم اتحادها وتعاونها، بل تعجز حتى عن استرجاع ما يسلبها الذباب. وهذا يبرز ضعفها في أبسط الأمور، فكيف يمكن لعاقل أن يعبد هذه الآلهة العاجزة عن أدنى مستويات الخلق والنفع؟

وكلام أبي المظفر السمعاني رحمه الله يركز على أن هذا المثل يضرب ليبين حقيقة الأصنام وأحوالها التي لا تتعدى كونها عاجزة، داعيًا الناس إلى الاستماع بعناية لهذا المثال الذي يكشف زيف الشرك. أما ابن القيم رحمه الله، فيذهب أعمق في تحليله، مبيّنًا أن هذا المثل يجب أن يتدبره القلب بعمق، لأنه يزيل جذور الشرك من القلب. ابن القيم يوضح أن أدنى ما يجب أن يتصف به الإله المعبود هو القدرة على جلب النفع ودفع الضرر، وهو ما تفتقده الآلهة الباطلة التي لا تستطيع حتى أن تخلق ذبابة أو تدافع عن نفسها ضدها.

والتأمل في كلام ابن القيم يبين أن الشرك ليس فقط انحرافًا عن الحق، بل هو سلوك مضلل يؤدي إلى العبث العقلي، حيث يعظّم الإنسان شيئًا لا يمتلك أي قدرة أو تأثير حقيقي، ويبرز ابن القيم بأسلوبه العميق هذا التلاعب العقلي الذي وقع فيه المشركون تحت تأثير الشيطان، مشبهًا تلاعب الشيطان بهم بتلاعب الصبيان بالكرة، في صورة تُجسد ضلالهم بأبلغ طريقة.

٢- ومن الأمثال أيضًا قوله سبحانه وتعالى في سورة النحل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٦﴾ [النحل: ٧٥ - ٧٦].

وللإمام ابن القيم - رحمه الله - كلام متين حول هذين المثلين خلاصته، أنهما مثلان ضربهما الله سبحانه وتعالى متضمنان قياسين من قياس العكس، وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه.

فالمثل الأول: ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان. فالله سبحانه هو المالك لكل شيء، ينفق كيف يشاء على عبيده، سرًا وجهرًا، ليلًا ونهارًا، والأوثان مملوكة لعابديها عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف يجعلونها شركاء لله، ويعبدونها من دونه، مع هذا التفاوت العظيم، والفرق المبين؟

وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه ولما يعبد من دونه أيضا. فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل أبكم، لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان. قد عدم النطق القلبي واللساني، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة. ومع هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة. والله سبحانه حي قادر متكلم، يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم [٥٣].

فابن القيم رحمه الله يعمق فهمنا لهذه الأمثال من خلال توضيح أنها قياسان من "قياس العكس"، حيث يُنفي الحكم لنفي علته. في المثل الأول، يمثل الله سبحانه وتعالى المالك الذي ينفق على عبيده سرًا وجهرًا، في مقابل الأوثان التي هي مملوكة لعابديها ولا تملك شيئًا ولا تقدر على الإنفاق أو النفع. هذه المقارنة الفاحشة بين من يملك كل شيء ومن لا يملك شيئًا تجعل عبادة الأوثان ضربًا من الضلال والجهل.

والمثل الثاني مثل: ﴿رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾ لا يسمع ولا ينطق و﴿لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ لا قليل ولا كثير ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: يخدمه مولاه، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه فهو ناقص من كل وجه، فهل يستوي هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان فلا يستوي من عبد من دون الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه، فلولا قيام الله بها لم يستطع شيئا منها، ولا يكون كفوا وندا لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه"[٥٤].

ويذكر الطاهر بن عاشور - رحمه الله - أن الله "شبَّه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه ولا يملك مالا، وشبه شأن الله تعالى في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، ومعرفة الحالين المشبهتين يدل عليها المقام، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتين، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية، ولذلك أعقب بجملة هل يستوون" [٥٥].

فالطاهر بن عاشور رحمه الله يعزز هذا المعنى بقوله إن الله شبّه حالة الأصنام بالعجز التام للمملوك الذي لا يملك شيئًا، ولا يستطيع التصرف حتى في نفسه، بينما شبه الله سبحانه بحالة الغني الذي يملك الرزق ويستطيع الإنفاق، هذا التشبيه يسلط الضوء على عدم وجود أي تماثل بين الأصنام والله تعالى في القدرة على الرزق والتصرف، وهو ما يجعل عبادة الأصنام أمرًا غير منطقي وغير معقول.

٣- ومن الأمثال كذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩]. وهذا من أبلغ الأمثال التي ضربها الله تعالى ليبين الفرق بين المشرك والموحد.

يقول ابن كثير رحمه الله: "قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص"(٥٦).

يُبيّن ابن كثير رحمه الله في تفسيره أن هذا المثل يُستخدم لتوضيح حالة المشرك الذي يتوزع ولاؤه وعبادته بين عدة آلهة، في مقابل المخلص الذي يعبد الله وحده. المشرك كعبدٍ يتنازع عليه شركاء متعددون، لكل منهم رغبات ومطالب، مما يجعله عاجزًا عن إرضائهم جميعًا في نفس الوقت، ويعيش في حيرة وتوتر دائم.

ويقول ابن القيم رحمه الله: "هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد. فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون، مختلفون متشاحنون. والرجل الشَّكس: الضيق الخلق. فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتّى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين. والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه. فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه فهل يستوي هذان العبدان؟ وهذا من أبلغ الأمثال. فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين الْحَمْدُ لِلَّهِ. بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ"(٥٧).

يشرع ابن القيم في شرح هذا المثل بصورة أعمق موضحًا أن المشرك هو كعبد تملكه جماعة متنازعون متشاحنون، يتنافسون على خدمته، وهو عاجز عن إرضاء كل واحد منهم، فيعيش في اضطراب دائم. في المقابل، الموحد هو كعبد لمالك واحد يعرف مقاصده ويعمل على إرضائه، فيعيش في راحة واطمئنان لأن ولاءه مركز في جهة واحدة. هذا التشبيه يُبرز الفرق الجوهري بين التوحيد والشرك؛ فالتوحيد يؤدي إلى السكينة والثبات، حيث تكون العلاقة بين العبد وربه قائمة على الإخلاص والرحمة. أما الشرك، فيؤدي إلى الفوضى والاضطراب لأن المشرك يتخبط بين ولاءات مختلفة، ولا يجد ملجأ حقيقيًا يأوي إليه.

المبحث الخامس: مسلك القرآن في الاستدلال على الألوهية ببطلان عبادة الأوثان.

وهذا المسلك من أهم المسالك في إثبات الألوهية، فإذا ثبت بطلان عبادة الأوثان، ثبت أن الإله المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده، وقد جاء القرآن الكريم بهذا المسلك حيث أبطل الله تعالى

عبادة آلهة المشركين بسبب أنها لا تملك شيئًا من خصائص الألوهية أو بسبب أنها متصفة بصفات النقص التي تدل على عدم صلاحيتها للعبادة، ويمكن لنا أن نبين الوجوه التي وردت في القرآن لبيان بطلان عبادة الأوثان والآلهة المزعومة على النحو التالي:

الوجه الأول: بيان أن الآلهة المزعومة لا يخلقون شيئًا بل يُخلقون:

فإن من صفات الإله الحق أنه يخلُق ومن لا يخلُق لا يستحق أن يُعبد، وقد بيّن الله تعالى في القرآن أن المعبودات الباطلة لا تستطيع أن تخلُق شيئًا، يقول تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف: ١٩١].

ولا شك أن اتخاذ آلهة مع الله لا تخلق شيئًا، ولا مثقال ذرة، بل هي مخلوقة مربوبة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عمن يعبدها، بل ولا عن أنفسها، أنه من أظلم الظلم، وأسفه السفه.

يقول ابن كثير رحمه الله: "هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، [ولا تنصر] ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ أي: أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئًا ولا يستطيع ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٧٤﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤].

أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها، ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو أسلبتهم الذبابة شيئًا من حقير المطاعم وطارت، لما استطاعوا إنقاذ ذلك منها، فمن هذه صفته وحاله، كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ أي: بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦]"(٥٨).

ففي تفسير ابن كثير للآية الكريمة يظهر بوضوح أن القرآن الكريم يتبنى منهجًا عقليًا متينًا في إبطال عبادة الأوثان والأصنام، وذلك من خلال بيان عدم امتلاك هذه الآلهة المزعومة لأي من خصائص الألوهية. فالآية تستنكر على المشركين إشراكهم بالله تعالى ما لا يملك قدرة على الخلق أو التصرف، بل إن هذه الأصنام نفسها مخلوقة لله، وهي عاجزة تمامًا عن النفع أو الضر، مما يجعل عبادتها ضربًا من ضروب العبث والسفه.

ويشير ابن كثير إلى أن الله سبحانه وتعالى، في هذه الآية، يقدم حجة قاطعة ضد المشركين، حيث يبين أن من لا يخلق لا يستحق أن يُعبد. فصفة الخلق هي من الخصائص الأساسية للإله الحق، والآلهة المزعومة لا تستطيع حتى أن تخلق أبسط الكائنات مثل الذباب، بل إنها عاجزة عن الدفاع عن نفسها إذا سلبها الذباب شيئًا. وهذا البيان الرباني يُظهر التناقض الصارخ في عبادة هذه الكائنات التي لا تملك شيئًا من مقومات الألوهية.

ومن هنا يتضح أن القرآن الكريم يعتمد على مسلك عقلي قائم على بطلان عبادة المخلوق العاجز، ويثبت من خلال هذه الحجج أن الألوهية لا تليق إلا بالله الخالق القادر.

وقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠].

يقول ابن كثير رحمه الله: "﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ أي: وقد خلقهم، فهو الخالق وحده لا شريك له، فكيف يعبد معه غيره" (٥٩).

فابن كثير يوضح أن الله هو الخالق المطلق لكل شيء، بما في ذلك الجن، ومع ذلك فإن المشركين جعلوا الجن شركاء لله في العبادة، فكيف يُعبد من هو مخلوق عاجز عن الخلق والتدبير؟ ابن كثير يسلط الضوء على اللاعقلانية في عبادة مخلوقات الله، فالخالق وحده هو المستحق للعبادة بلا شريك.

ويذكر الشيخ السعدي - رحمه الله - أن هذه الآية فيها إخبار من الله: "أنه مع إحسانه لعباده وتعرفه إليهم، بآياته البينات، وحججه الواضحات أن المشركين به، من قريش وغيرهم، جعلوا له شركاء، يدعونهم، ويعبدونهم، من الجن والملائكة، الذين هم خلق من خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم، وكذلك "خرق المشركون" أي: ائتفكوا، وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم، وافترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟!!

ولهذا نزه نفسه عما افتراه عليه المشركون فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ فإنه تعالى، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، وآفة وعيب (٦٠).

فيشير السعدي إلى أن هذه الآية تكشف كيف أن المشركين قد ابتدعوا افتراءات على الله دون علم، فجعلوا له شركاء من الجن والملائكة، وافتروا عليه نسبة البنين والبنات. وبيّن السعدي أن المشركين لا يملكون أي دليل أو علم فيما يقولونه عن الله، وهو افتراء ينافي تمامًا مقام الله عز

وجل. لذلك نزه الله نفسه عن هذه الأوصاف الكاذبة بعبارة "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ"، مشيرًا إلى أن الله متصف بكل كمال، ومنزّه عن كل نقص.

ومما سبق يتبين لنا بطلان ما كان عليه المشركون من عبادة للأوثان والأصنام فإنها مخلوقة لله تعالى، لا تستطيع أن تخلق ومن كان هذا حاله فهو لا يصلح للعبادة، وإذا ثبت بطلان عبادتها ثبت استحقاق الخالق سبحانه وتعالى للعبادة.

الوجه الثاني: أن الأصنام الباطلة ليس لها نصيب من الملك:

وإذا ثبت أنه ليس لها نصيب من الملك ثبت بطلان عبادتها، وأنها لا تستحق أن تُعبد من دون الله، وأن المستحق للعبادة هو المالك المتصرف الذي بيده النفع والضر وهو الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢].

يقول ابن القيم رحمه الله: "فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدت بها عليهم الباب أبلغ سد وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو كان لا يرجو منفعة منه فلا يتعلق قلبه به أبدا. وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود إما مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو شريكا لمالكها، أو ظهيرا أو وزيرا أو معاونا له، أو وجيها ذا حرمة وقدر، يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده. فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض. فقد يقول المشرك: هي شريكة للمالك الحق. فنفى شركها له. فيقول المشرك: قد تكون ظهيرا أو وزيرا، أو معاونا. فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ لم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فإن لم يأذن للشافع لم يتقدم بالشفاعة بين يديه، كما يكون في حق المخلوقين. فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع وإلى معاونته له فيقبل شفاعته، وإن لم يأذن له منها. وأما من كل ما سواه فقير إليه بذاته فهو الغني بذاته عن كل ما سواه. فكيف يشفع عنده أحد بغير إذنه؟" (٦١).

يؤكد ابن القيم أن المشرك يتعلق بالمعبود طلبًا للمنفعة، سواء كان يظن أن هذا المعبود يمتلك الأسباب التي تجلب النفع أو يشترك مع مالك هذه الأسباب، أو يكون وزيرًا أو معاونا له، أو يشفع عنده. لكنه بيّن كيف أن الآية أغلقت على المشركين جميع هذه المنافذ التي تبرر تعلقهم بآلهتهم، حيث نفيت هذه الأسباب على عدة مستويات:

نفي الملكية: المعبودات الباطلة لا تملك حتى مثقال ذرة في السموات أو الأرض، وبالتالي لا تمتلك أي قدرة على التصرف أو النفع.

نفي الشراكة: حتى لو ادعى المشركون أن هذه الآلهة شركاء لله في ملكه، فالآية نفت أن يكون لهم أي نصيب في هذا الملك.

نفي المعاونة: حتى فكرة أن هذه الآلهة قد تكون ظهيرا أو معاونا لله تم نفيها بشكل قاطع، حيث لا يحتاج الله لأي عون من أحد.

نفي الشفاعة إلا بإذن الله: وحتى فكرة الشفاعة، التي قد يلجأ إليها المشركون كمبرر أخير، نفتها الآية إلا بإذن الله، مما يظهر عدم قدرة هذه الآلهة حتى على الشفاعة بدون إرادة الله.

بهذا التحليل، ابن القيم يبين أن هذه الآية تغلق كل طرق الشرك وتقطع مواده، وتظهر أن المستحق للعبادة هو الله وحده، لأنه وحده المالك، المتصرف، الغني بذاته، والذي لا يحتاج إلى معين أو شفيع.

ومن الآيات التي تبين أن الأصنام التي يعبدها المشركون لا تملك شيئًا ولو كان ضئيلا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "فلما بين تعالى ما بيّن من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه، قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله. ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأصنام ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ أي: لا يملكون شيئًا، لا قليلا ولا كثيرًا، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعَوْنَ، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟"[٦٢].

فيوضح السعدي أن الله بصفته الخالق والمالك الوحيد لكل شيء في الكون هو المستحق للعبادة والطاعة. أما الأصنام التي يُدعى أنها آلهة، فهي لا تملك حتى القطمير، مما يجعل عبادتها ضربًا من العبث والضلال. ثم يضيف السعدي توضيحًا مهمًا بأن هذه الآلهة المزعومة، حتى لو دعاها عابدوها، لا يمكنها أن تسمع، وإن سمعوا - فرضًا - فإنهم عاجزون عن الاستجابة، مما يبرز عجزهم المطلق.

فهذا التفسير يعمق إدراك الإنسان لعظمة الله سبحانه وتعالى من جهة، ومن جهة أخرى يظهر زيف عبادة الأصنام التي لا تملك نفعًا ولا ضررًا. كما يؤكد السعدي أن هذه الآية تأتي بعد بيان

عظمة خلق الله، مما يزيد من قوة الحجة على بطلان عبادة غير الله، ويعزز فكرة أن الألوهية لا يستحقها إلا من بيده الملك والقدرة المطلقة.

الوجه الثالث: أن هذه الأوثان والمعبودات الباطلة لا تنفع ولا تضر:

فإن الإله المعبود هو الذي يملك النفع والضــر، والإنســان لا يعبد ويرجو إلا من يملك جلب النفع ودفع الضــر، فإذا كانت هذه الأوثان والمعبودات الباطلة لا تملك لنفســها ولا لغيرها جلب النفع ودفع الضــر فهي لا تســتحق أن تعبد، وإنما المســتحق للعبادة هو الله ســبحانه وتعالى الذي يملك النفع والضر.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١].

والاستفهام في هذه الآية للتوبيخ أي كيف ندعو من دون الله أصنامًا لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعا ولا نخشى ضرها بوجه من الوجوه؟

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: "وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه - صلى الله عليه وسلم - على حجته على مشــركي قومه من عبدة الأوثان. يقول له تعالى ذكره: قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد، والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم: أندعو من دون الله حجرًا أو خشبًا لا يقدر على نفعنا أو ضرنا، فنخصه بالعبادة دون الله، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشــر؟ فلا شــك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره!" (٦٣).

يوضــح ابن جرير الطبري أن الله ســبحانه وتعالى ينبه نبيه محمدًا -صــلى الله عليه وســلم- إلى حقيقة حجته أمام مشــركي قومه الذين عبدوا الأوثان والأنداد. فالله ســبحانه يطلب من نبيه أن يسألهم هل من المنطقي أن يعبد الإنسـان من لا يملك نفعًا ولا ضـررًا مثل الحجارة والأخشـاب التي هي مجرد أصنام لا حول لها ولا قوة، بينما يترك عبادة الله الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت؟ هذه الحجة تدفع المشـركين للتفكير العقلاني في اختيارهم بين عبادة من يملك كل شيء وبين عبادة من لا يملك شيئًا.

ويقول الشـيخ السـعدي رحمه الله: "﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسـول للمشـركين بالله، الداعين معه غيره، الذين يدعونكم إلى دينهم، مبينا وشــارحا لوصــف آلهتهم، التي يكتفي العاقل بذكر وصــفها، عن النهي عنها، فإن كل عاقل إذا تصــور مذهب المشــركين جزم ببطلانه، قبل أن تقام البراهين على

ذلك، فقال: ﴿أَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ وهذا وصف، يدخل فيه كل مَن عُبِد مِنْ دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله" (٦٤).

يأخذ الشيخ السعدي هذا التفسير إلى أبعاد أعمق، حيث يشير إلى أن كل عاقل عندما يتصور حقيقة ما يعبده المشركون، سيصل إلى نتيجة أن عبادتهم باطلة، قبل أن تُطرح البراهين العقلية أو الشرعية. السعدي يوضح أن الأصنام التي تعبد من دون الله لا تملك نفعًا ولا ضررًا، مما يجعل عبادة هذه المعبودات منافٍ لأي منطق أو عقل، ويعزز ضرورة عبادة الله الذي يملك كل شيء.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ [الفرقان: ٣].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره مقرعا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومعجبًا أولي النهى منهم، ومنبههم على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحق، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السماوات والأرض وحده. من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدره، آلهة: يعني أصنامًا بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئًا وهي تخلق، ولا تملك لأنفسها نفعا تجره إليها، ولا ضرًا تدفعه عنها ممن أرادها بضر، ولا تملك إماتة حي، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضر والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نشر الميت نشورًا، وهو أن يبعث ويحيا بعد الموت" (٦٥).

يُظهر ابن جرير الطبري مدى التناقض في تصرفات المشركين، حيث يعبدون آلهة مخلوقة لا تستطيع خلق أي شيء ولا تملك لأنفسها نفعًا ولا ضررًا. ويستغرب الطبري من غفلة المشركين عن عبادة خالق السماوات والأرض، الذي يملك كل شيء بيده، والذي هو القادر على الإحياء والإماتة والنشور، ويشير إلى مدى ضلالهم وسذاجة تفكيرهم.

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: "من أعجب العجائب وأدل الدليل على سفههم ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة، في كمال العجز أنها لا تقدر على خلق شيء بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا قليلا ولا كثيرا، لأنه نكرة في سياق النفي ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ أي: بعثًا بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء للخالق لسائر المخلوقات من غير مشاركة له في ذلك، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي يحيي ويميت ويبعث من في القبور ويجمعهم ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين دار

الشـقاء والخزي والنكال لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسـعادة والنعيم المقيم لمن اتخذه وحده معبودًا"(٦٦).

يصف الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية اتخاذ هذه الآلهة بالسفه والعجز الواضح، حيث إن هذه الأصنام لا تستطيع حتى جلب منفعة لنفسها، فكيف يمكن أن تنفع غيرها؟ ويعزز السعدي هنا حجة بطلان إلهيتها بوضوح، إذ أنها لا تملك أي قدرة على إحياء أو إماتة أحد، ولا حتى على إحداث الضرر أو النفع. يبرز السعدي أيضًا فكرة أن أعظم ما يحكم به العقل هو بطلان هذه العبادة، وأن المشركين يظهرون نقصًا في العقل عندما يتخذون آلهة أخرى غير الله، الذي بيده كل شيء.

الوجه الرابع: أنَّ هذه الأوثان والمعبودات لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر.

ولا شك أن عدم الاتصاف بالكلام والسمع والبصر يدل على نقصها وعجزها وعدم استحقاقها للعبادة، وقد احتج ابراهيم - عليه السلام - على والده بذلك قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ يقول: اذكره حين قال لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ يقول: ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ شيئًا ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ يقول: ولا يدفع عنك ضر شيء، إنما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع، يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضر دفع عنك" (٦٧).

وكلام الطبري يبرز بوضوح الحجة العقلية التي استخدمها النبي إبراهيم عليه السلام في دعوته للتوحيد وإبطال عبادة الأوثان، فالطبري يشير إلى أن إبراهيم عليه السلام احتج على والده بمنطق بسيط ولكن قوي، وهو أن هذه الأصنام التي يعبدها لا تمتلك صفات أساسية كالسماع، والبصر، والقدرة على الإغاثة، مما يجعلها عاجزة وغير جديرة بالعبادة. فعدم الاتصاف بهذه الصفات يشير إلى نقص هذه الأصنام وعجزها الكامل عن تقديم أي منفعة أو دفع أي ضرر. هذه الحجة تستند إلى بداهة العقل البشري التي تقر بأن من يُعبد ينبغي أن يكون قادرًا على السمع والبصر والتفاعل مع دعوات واحتياجات العابدين، وهو ما تختص به الألوهية الحقة، ويوضح الطبري أن إبراهيم عليه السلام يدعو والده لترك عبادة الأصنام التي هي "صورة مصورة لا تضر ولا تنفع" واللجوء إلى عبادة الله، الذي يتميز بصفات الكمال من السمع والبصر والقدرة على النفع ودفع الضر. هذه

الحجة القرآنية تعزز مفهوم التوحيد بتوجيه العقل والفطرة نحو استحقاق الله وحده للعبادة، فهو المستجيب والقادر، بينما الأصنام عاجزة عن ذلك.

وبعد أن بين الشيخ السعدي مكانة إبراهيم - عليه السلام - ذكر وجه استهجان إبراهيم - عليه السلام - لعبادة والده للأصنام فقال: "﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ مهجنًا له عبادة الأوثان: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ أي: لم تعبد أصنامًا، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعًا ولا ضرًا، بل لا تملك لأنفسها شيئًا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلًا وشرعًا. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى"(٦٨).

فالشيخ السعدي في تفسيره يسلط الضوء على حجة إبراهيم عليه السلام ضد عبادة والده للأصنام بأسلوب يعتمد على بيان النقص في تلك المعبودات من جهة الذات والأفعال، ويشرح السعدي أن هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تقدم نفعًا لعابديها ولا تدفع عنهم الضر، هي في حقيقتها ناقصة وعاجزة. وبالتالي، عبادة الناقص في ذاته وأفعاله أمر مستهجن ومرفوض عقلًا وشرعًا. فالسعدي يستخدم هذا البرهان ليشير إلى ضرورة عبادة الله وحده، الكمال المطلق، الذي بيده النفع والضر، وهو الوحيد المستحق للعبادة لأنه كامل في ذاته وأفعاله، فالتعليق هنا يظهر قوة الحجة التوحيدية التي قدمها إبراهيم عليه السلام، والتي تجمع بين منطق العقل والفطرة، ليؤكد أن عبادة ما هو ناقص وعاجز أمر غير منطقي، بينما العبادة الصحيحة يجب أن تكون لمن يملك الكمال المطلق، وهو الله تعالى.

ونجد أيضًا هذه الحجة في سورة الشعراء قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧٤].

يقول ابن كثير رحمه الله: "هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمدًا - صلوات الله وسلامه عليه - أن يتلوه على أمته؛ ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله - عزَّ وجل - فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾؟ [الشعراء: ٧٠] أي: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء: ٧١] أي:

مقيمين على عبادتها ودعائها. ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤﴾ [الشعراء: ٧٢ - ٧٤] يعني: اعترفوا بأن [١] أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يهرعون. فعند ذلك قال لهم إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧] أي: إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير، فلتخلص إليَّ بالمساءة، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها"[٦٩].

فابن كثير في تفسيره لهذه الآيات من سورة الشعراء يوضح موقف إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه بالتخلي عن عبادة الأصنام. يبين ابن كثير أن الله أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوة قصة إبراهيم على أمته ليقتدوا به في التوحيد والإخلاص ورفض الشرك. إبراهيم عليه السلام، منذ صغره، أنكر على قومه عبادة الأصنام، وطرح عليهم أسئلة حول قدرة هذه الأصنام على السمع أو النفع أو الضرر، وهو سؤال يكشف عجزها وعدم استحقاقها للعبادة. قومه اعترفوا أن الأصنام لا تفعل شيئًا من ذلك، ولكنهم استمروا في عبادتها اتباعًا لآبائهم، ويبرز ابن كثير في تفسيره أن هذه الحجة العقلية التي قدمها إبراهيم، بتحدي قومه فيما يتعلق بعجز الأصنام، تكشف بطلان عبادة غير الله وتؤكد وجوب عبادة رب العالمين وحده. هذا الأسلوب يوضح مدى قلة الحيلة والعجز في عبادة ما لا ينفع ولا يضر، ويبرز قوة التوحيد التي تجلت في موقف إبراهيم عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]. يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ أي: لا يملكون شيئًا، لا قليلا ولا كثيرًا، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يُدْعَوْنَ، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟ ومع هذا ﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ لا يسمعوكم؛ لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ على وجه الفرض والتقدير ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لأنهم لا يملكون شيئًا، ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] أي: يتبرأون منكم، ويقولون: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٤] أي: لا أحد ينبئك، أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن

هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تمتر. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئًا"(٧٠).

ففي تفسير الشيخ السعدي للآيات من سورة فاطر يوضح أن الله وحده هو المالك الحقيقي للكون، في حين أن الأصنام والأوثان التي تُعبد من دونه لا تملك حتى "القطمير"، وهو أقل شيء يمكن أن يُتصور. يعزز السعدي في تعليقه على هذه الآيات أن هذه الآلهة المزعومة لا يمكن أن تستجيب لدعاء عابديها لأنها لا تسمع أصلًا، وحتى لو سمعوا - على سبيل الفرض - فإنهم لا يملكون القدرة على الاستجابة، مما يبين عجزهم التام. كما يشير إلى أن هذه الآلهة ستتبرأ من عابديها يوم القيامة، مما يؤكد بطلان عبادتها، كما أن السعدي هنا يعتمد على حجة عقلية ومنطقية لإثبات أن عبادة غير الله لا تستند إلى أي دليل أو منفعة. الآيات تقدم براهين واضحة أن العبادة لا تكون إلا لله، لأنه المالك والقادر على السمع والاستجابة. يبين السعدي أن هذه الأدلة يجب أن تُفهم على أنها حقائق لا تحتمل الشك، ما يجعل رسالة التوحيد منطقية ومقبولة عقلًا وشرعًا.

أهم النتائج:

الحمد لله على ما يسر من إتمام هذا البحث، وهذا عرض لأبرز النتائج، والتي هي:

الأولى: أهمية توحيد الألوهية، فلأجله خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل.

الثانية: وجوب إفراد الله بالعبادة، وأنَّ الواجبَ الاهتمام والعناية بالدعوة إلى توحيد الألوهية.

الثالثة: أن معنى الإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ولذا تبين بطلان تفسير الإله بالقادر على الاختراع.

الر ابعة: أن من مسالك القرآن للدعوة الى الألوهية الاستدلال بالربوبية.

الخامسة: أن من مسالك القرآن للدعوة الى الألوهية الاستدلال بالصفات.

السادسة: أن من مسالك القرآن للدعوة الى الألوهية الاستدلال بضرب الأمثال.

السابعة: أن من مسالك القرآن للدعوة الى الألوهية الاستدلال على الألوهية ببطلان عبادة الأوثان.

هوامش البحث:

(١) الرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بكلية الدعوة وأصول الدين، جامع أم القرى، تاريخ النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩هـ.

(٢) البحث صادر عن مجلة معالم الدعوة الإسلامية، مجلة فصلية محكمة، تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية – جامعة أم درمان الإسلامية، مجلد ١٦ عدد ٢ (٢٠٢٢).

(٣) نشر مجلة مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان -، ٢٠١٣م.

(٤) نشر في مجلة العلوم الإسلامية الدولية، المجلد ٦: (العدد الخاص: ١)، يناير ٢٠٢٢م، قسم العقيدة والدعوة.

(٥) رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إشراف الدكتور: أحمد بن عبد الله بن محمد الغنيمان، العام الجامعي: ١٤٣٥هـ- ١٤٣٦هـ.

(٦) انظر: الجوهري، الصحاح، مادة (أله)، (٦/ ٢٢٢٣) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، (ص: ٢٦)، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (أله)، (١/ ١٢٧).

(٧) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، مادة: (أله)، (٤/ ٣٥٨).

(٨) الطبري، جامع البيان، (٢١/ ٦٥٣).

(٩) الطبري، جامع البيان، (١/ ١٢٣).

(١٠) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، (٥/ ٢٢٧).

(١١) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: ١٣٩).

(١٢) قال البغدادي: "واختلف أصحابنا، يعني الأشاعرة، في معنى الإله، فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلهية وهي قدرته على اختراع الأعيان. وهو اختيار أبي الحسن الأشعري، انظر: البغدادي، أصول الدين (ص: ١٢٣).

(١٣) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، (ص: ٢٢٦، ٢٢٧). وانظر: ابن تيمية، التدمرية (ص: ١٨٥).

(١٤) ابن عثيمين، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (١/ ٤٤).

(١٥) الطبري، جامع البيان، (١١/ ٤٧٦).

(١٦) الشافعي، تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٢٨٨).

(١٧) الطبري، جامع البيان، (١٨/ ٤٢٧).

(١٨) ابن رجب، روائع التفسير (١/ ٦٩).

(١٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٥٠٥).

(٢٠) الطبري، جامع البيان، (٨/ ٥٧).

(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦/ ٢٦٨٥) رقم (٦٩٣٧)، وروى مسلم نحوه في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين (١/ ٥٠) رقم (٢٩).

(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (١/ ٥٢٩) رقم (١٣٨٩).

(٢٣) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، (١/ ٢٣).

(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: اسم الفرس والحمار (٣/ ١٠٤٩) رقم (٢٧٠١)، وروى مسلم نحوه في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (١/ ٥٨) رقم (٤٨).

(٢٥) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ص: ٥٠٣)، الشهرستاني، والملل والنحل، (ص: ٤٥)، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٢/ ١٩٧).

(٢٦) ابن القيم، مدارج السالكين، (٢/ ٣٢٢، ٣٢٣).

(٢٧) ابن القيم، مدارج السالكين، (١/ ٤١١). وانظر أيضاً: ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٥).

(٢٨) ابن تيمية، مجموع الفتاوى،(١/ ٢٧).

(٢٩) انظر: آل الشيخ، البراهين الاسلامية في رد الشبهة الفارسية، (ص: ١٠).

(٣٠) الطبري، جامع البيان، (١/ ٢٦٢)..

(٣١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ص: ١٩٤).

(٣٢) الطبري، جامع البيان، (٣١/ ٣٦٦، ٣٦٧).

(٣٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٤٧٤).

(٣٤) الطبري، جامع البيان، (١٢/ ١٢، ١٣).

(٣٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٠٨، ٣٠٩).

(٣٦) انظر، الشنقيطي، أضواء البيان، (٣/ ٤١١).

(٣٧) الشنقيطي، أضواء البيان (٣/ ٢٠).

(٣٨) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٦٠٨).

(٣٩) السعدي، حقيقة المثل الأعلى وآثاره، (ص: ٨٤).

(٤٠) المرجع السابق (ص: ٧١).

(٤١) السعدي، القول السديد، (١/ ٦٤، ٦٥).

(٤٢) الطبري، جامع البيان، (٥/ ٣٩٦، ٣٩٧).

(٤٣) المرجع السابق (٦/ ١٥٧).

(٤٤) المرجع السابق (٥/ ١٦٨، ١٦٩).

(٤٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢/ ٧٥، ٧٦)

(٤٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٧٧، ٧٨).

(٤٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٣٦٤).

(٤٨) الشنقيطي، معارج الصعود، (ص: ٣٠٦، ٣٠٧).

(٤٩) القاسمي، محاسن التأويل، (٧/ ١٠٧).

(٥٠) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٤٩٨).

(٥١) تفسير القرآن (٣/ ٤٥٥).

(٥٢) ابن القيم، التفسير القيم، (ص: ٣٨٥، ٤١٠).

(٥٣) انظر: ابن القيم، التفسير القيم، (ص: ٣٥٤، ٣٥٧).

(٥٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١/ ٤٤).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٩٦).

(٥٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤/ ٢٢٣).

(٥٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤/ ٢٢٣).

(٥٧) انظر: ابن القيم، التفسير القيم، (ص: ٤٥٧).

(٥٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥٢٩).

(٥٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٠٧).

(٦٠) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٢٦٧).

(٦١) ابن القيم، التفسير القيم، (ص: ٤٣٥).

(٦٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٦٨٦).

(٦٣) الطبري، جامع البيان، (١١/ ٤٥٠).

(٦٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٢٦١).

(٦٥) الطبري، جامع البيان، (١٩/ ٢٣٧).

(٦٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٥٧٧).

(٦٧) الطبري، جامع البيان، (١٨/ ٢٠٢).

(٦٨) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٤٩٤).

(٦٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٦/ ١٤٥، ١٤٦).

(٧٠) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٦٨٦).

مراجع البحث:

القرآن الكريم.

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. ١٤١٠ هـ .تفسير القرآن الكريم .تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط ١. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. ١٩٧٨م .شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، ط ١. بيروت: دار الفكر.

٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر.١٩٧٣م .مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .ط ٢. القاهرة: دار التراث.

٤. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر. ١٩٩٧م .العقد المذهب في طبقات حملة المذهب .تحقيق: أيمن نصر الأزهري وسيد مهني، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ١٣٨٦هـ .الفتاوى الكبرى .تحقيق: حسنين محمد مخلوف، ط ١. بيروت: دار المعرفة.

٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ١٩٩١م .درء تعارض العقل والنقل .تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط ٢. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. ١٩٩٥م .مجموع الفتاوى .تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٨. ابن حزم، علي بن أحمد. بدون تاريخ .الفصل في الملل والأهواء والنحل .القاهرة: مكتبة الخانجي.

٩. ابن خلكان، أحمد بن محمد. د.ت .وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

١٠. ابن رجب ، زين الدين عبد الرحمن الحنبلي. ٢٠٠١م .روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) . جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط ١. الرياض: دار العاصمة.

١١. ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن. ١٣٩٧هـ .كلمة الإخلاص وتحقيق معناها .تحقيق: زهير الشاويش، ط ٤. بيروت: المكتب الإسلامي.

١٢. ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٩٧م .التحرير والتنوير .تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

١٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. ١٩٩٢ م .الاستيعاب في معرفة الأصحاب .تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١. بيروت: دار الجيل.

١٥. ابن عثيمين، محمد بن صالح. ٢٠٠٦م .فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام .تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، ط ١. القاهرة: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع.

١٦. ابن فارس، أحمد بن زكرياء. ١٩٧٩م .مقاييس اللغة .تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.

١٧. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ١٩٩٣م .طبقات الشافعيين .تحقيق: أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، ط ١. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

١٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ١٤١٩ هـ .تفسير القرآن العظيم .تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

١٩. ابن منظور، محمد بن مكرم. ١٤١٤ هـ.لسان العرب .ط ٣. بيروت: دار صادر.

٢٠. أبو الوفا، علي الله بن علي. ٢٠٠٣م .القول السديد في علم التجويد .ط ٣. المنصورة: دار الوفاء.

٢١. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. ١٩٩٨م .معرفة الصحابة .تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط ١، الرياض: دار الوطن للنشر.

٢٢. آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن. ١٩٨٩م .البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية .ط ١. الرياض: مكتبة الهداية.

٢٣. البخاري، محمد بن إسماعيل. ١٩٨٧م .الجامع الصحيح المختصر .تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣. بيروت: دار ابن كثير، اليمامة.

٢٤. جلبي، مصطفى بن عبد الله كاتب. ٢٠١٠م .سلم الوصول إلى طبقات الفحول .تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إسطنبول: مكتبة إرسيكا.

٢٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد. ١٩٨٧م .الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية .تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤. بيروت: دار العلم للملايين.

٢٦. الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي. ١٩٩٠م .معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول .تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط ١ ، الدمام: دار ابن القيم.

٢٧. الخليلي، خليل بن عبد الله. ١٤٠٩م .الإرشـاد في معرفة علماء الحديث .تحقيق: د. محمد سـعيد عمر إدريس، ط ١. الرياض: مكتبة الرشد.
٢٨. الذهبي، محمد بن أحمد. ١٩٨٥م .سير أعلام النبلاء .تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٩. الذهبي، محمد بن أحمد. ٢٠٠٣م .تاريخ الإسـلام وَوَفيات المشـاهير وَالأعلام .تحقيق: الدكتور بشـار عوّاد معروف، ط ١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٣٠. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. ١٩٨٦م .اشتقاق أسماء الله .تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣١. الزركلي، خير الدين. ٢٠٠٢م .الأعلام .ط ١٥. بيروت: دار العلم للملايين.
٣٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. ٢٠٠٠م .تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣٣. السمعاني، منصور بن محمد. ١٩٩٧م .تفسير القرآن .تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط ١. الرياض: دار الوطن.
٣٤. السـيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت) .ذيل طبقات الحفاظ .تحقيق: زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. ١٣٩٦ هـ .طبقات المفسرين العشرين .تحقيق: علي محمد عمر، ط ١. القاهرة: مكتبة وهبة.
٣٦. الشـافعي، محمد بن إدريس. ٢٠٠٦م .تفسـير الإمام الشـافعي .جمع وتحقيق ودراسـة: د. أحمد بن مصـطفى الفرَّان، ط ١. الرياض: دار التدمرية.
٣٧. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. ١٩٨٨م .معارج الصعود إلى تفسير سورة هود .كتب عنه تلميذه عبد الله بن أحمد قادري. ط ١، جدة: دار المجتمع.
٣٨. الشنقيطي، محمد الأمين. بدون تاريخ .أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .بيروت: دار الفكر.
٣٩. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. ١٤٠٤هـ.الملل والنحل .تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.
٤٠. الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠٠م .جامع البيان في تأويل القرآن .تحقيق: أحمد محمد شـاكر، ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٤١. عفيفي، عبد الرزاق. (د.ت) .فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة.
٤٢. عفيفي، عبد الرزاق. ١٤٢٠هـ.مذكرة التوحيد ، ط الأولى، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.
٤٣. الغامدي، عيسى بن عبد الله. ٢٠٠٦م .حقيقة المثل الأعلى وآثاره .ط ١. الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
٤٤. الفاسي، محمد بن أحمد. ١٩٩٠م .ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد .تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٥. القاسمي، محمد جمال الدين. ١٤١٨هـ .محاسن التأويل .تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤٦. القاضي، عبد الجبار. ١٩٩٨م .شرح الأصول الخمسة .تحقيق: د. فيصل بدير عيون، الكويت: جامعة الكويت.
٤٧. القِنَّوجي، محمد صـــديق خان. - ٢٠٠٧م .التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول .ط ١. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٤٨. محفوظ، محمد. ١٩٩٤م .تراجمَ المؤلِّفين التونسيين .ط ٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٤٩. المري، عصـــام بن عبد المنعم. بدون تاريخ .الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين .ط ١. الإسكندرية: دار البصيرة.
٥٠. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. د.ت .المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٥١. نويهض، عادل. ١٤٠٩هـ .معجم المفسرين ط ٣، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

Arabic references

1. Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr. 1410 . *Tafsir al-Qur'an al-Karim*. Muhaqqiq: Maktab al-Dirasat wa-l-Buhuth al-Arabiyya wa-l-Islamiyya bi-ishraf al-Shaykh Ibrahim Ramadan, (1st ed.). Beirut: Dar wa-Maktabat al-Hilal.
2. Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr. 1978 . *Shifa' al-'Alil fi Masa'il al-Qada' wa-l-Qadr wa-l-Hikma wa-l-Ta'lil*. Muhaqqiq: Muhammad Badr al-Din Abu Firas al-Na'sani al-Halabi, (1st ed.). Beirut: Dar al-Fikr.
3. Ibn al-Qayyim, Muhammad bin Abi Bakr. 1973 . *Madarij al-Salikin bayna Manazil Iyyaka Na'budu wa-Iyyaka Nasta'in*, (2nd ed.). Cairo: Dar al-Turath.
4. Ibn al-Mulqin, Siraj al-Din Abu Hafs Umar. 1997 . *al-'Aqd al-Mudhahhab fi Tabaqat Hamalat al-Madhhab*. Muhaqqiq: Ayman Nasr al-Azhari wa-Sayyid Mahni, (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
5. Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim. 1386 . *al-Fatawa al-Kubra*. Muhaqqiq: Hasanin Muhammad Makhluf, (1st ed.). Beirut: Dar al-Ma'rifa.
6. Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim. 1991 . *Dar' Ta'arud al-'Aql wa-l-Naql*. Muhaqqiq: Dr. Muhammad Rashad Salim, (2nd ed.). Riyadh: Jami'at al-Imam Muhammad bin Saud al-Islamiyyah.
7. Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abd al-Halim. 1995 . *Majmu' al-Fatawa*. Muhaqqiq: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Qasim, al-Madinah al-Nabawiyyah: Majma' al-Malik Fahd li-Tiba'at al-Mushaf al-Sharif.
8. Ibn Hazm, Ali bin Ahmad. No date. *al-Fasl fi al-Milal wa-l-Ahwa' wa-l-Nihal*. Cairo: Maktabat al-Khanji.

9. Ibn Khallikan, Ahmad bin Muhammad. No date. *Wafayat al-A'yan wa-Anba' Abna' al-Zaman*. Muhaqqiq: Ihsan Abbas. Beirut: Dar Sader.
10. Ibn Rajab, Zayn al-Din Abd al-Rahman al-Hanbali. 2001 . *Rawa'i' al-Tafsir (al-Jami' li-Tafsir al-Imam Ibn Rajab al-Hanbali)*. Jama' wa-Tartib: Abu Mu'adh Tariq bin Awd Allah bin Muhammad, (1st ed.). Riyadh: Dar al-Asimah.
11. Ibn Rajab al-Hanbali, Zayn al-Din Abd al-Rahman. 1397 . *Kalimat al-Ikhlas wa-Tahqiq Ma'naha*. Muhaqqiq: Zuhayr al-Shawish, (4th ed.). Beirut: al-Maktab al-Islami.
12. Ibn Sīdah, Abu al-Hasan Ali bin Ismail. *al-Muhkam wa-l-Muhit al-A'zam*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
13. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. 1997 . *al-Tahrir wa-l-Tanwir*. Muhaqqiq: Muhammad al-Tahir bin Ashur. Tunis: Dar Sahnoon li-l-Nashr wa-l-Tawzi'.
14. Ibn Abd al-Barr al-Namari, Yusuf bin Abd Allah. 1992 . *al-Isti'ab fi Ma'rifat al-Ashab*. Muhaqqiq: Ali Muhammad al-Bijawi, (1st ed.). Beirut: Dar al-Jil.
15. Ibn Uthaymin, Muhammad bin Salih. 2006 . *Fath Dhi al-Jalal wa-l-Ikram bi-Sharh Bulugh al-Maram*. Tahqiq wa-Ta'liq: Subhi bin Muhammad Ramadan, Umm Isra' bint Arafah Bayumi, (1st ed.). Cairo: al-Maktabah al-Islamiyyah li-l-Nashr wa-l-Tawzi'.
16. Ibn Faris, Ahmad bin Zakariya. 1979 . *Maqayis al-Lughah*. Muhaqqiq: Abd al-Salam Muhammad Harun. Beirut: Dar al-Fikr.
17. Ibn Kathir, Ismail bin Umar. 1993 . *Tabaqat al-Shafi'iyyin*. Muhaqqiq: Ahmad Umar Hashim, Dr. Muhammad Zaynhum Muhammad 'Azb, (1st ed.). Cairo: Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah.
18. Ibn Kathir, Ismail bin Umar. 1419 . *Tafsir al-Qur'an al-'Azim*. Muhaqqiq: Muhammad Husayn Shams al-Din, (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Manshurat Muhammad Ali Baydun.
19. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. 1414 . *Lisan al-'Arab*, (3rd ed.). Beirut: Dar Sader.
20. Abu al-Wafa, Ali Allah bin Ali. 2003 . *al-Qawl al-Sadid fi 'Ilm al-Tajwid*, (3rd ed.). al-Mansurah: Dar al-Wafa'.
21. Al-Aṣbahānī, Abū Naʿīm Aḥmad ibn ʿAbd Allāh. 1998. Maʿrifat al-Ṣaḥābah. Muḥaqqiq: ʿĀdil ibn Yūsuf al-ʿAzzāzī. (1st ed). Riyadh: Dār al-Waṭan li al-Nashr.
22. Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl. 1987. Al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar. Muḥaqqiq: Dr. Muṣṭafā Dīb al-Bughā. (3rd ed). Beirut: Dār Ibn Kithīr, al-Yamāmah.
23. Jalabī, Muṣṭafā ibn ʿAbd Allāh Kātib. 2010. Salm al-Wuṣūl ilā Ṭabaqāt al-Fuḥūl. Muḥaqqiq: Maḥmūd ʿAbd al-Qādir al-Arnāʾūṭ. Istanbul: Maktabat Irsiqah.
24. Al-Jawharī, Ismāʿīl ibn Ḥamad. 1987. Al-Ṣiḥāḥ Taj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah. Muḥaqqiq: Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār. (4th ed). Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn.

25. Al-Ḥakīmī, Ḥāfiẓ ibn Aḥmad ibn ʿAlī. 1990. Maʿārīj al-Qabūl bi Sharḥ Salm al-Wuṣūl ilā ʿIlm al-Uṣūl. Muḥaqqiq: ʿUmar ibn Maḥmūd Abū ʿUmar. (1st ed). Dammām: Dār Ibn al-Qayyim.
26. Al-Khalīlī, Khalīl ibn ʿAbd Allāh. 1409. Al-Irshād fī Maʿrifat ʿUlamāʾ al-Ḥadīth. Muḥaqqiq: Dr. Muḥammad Saʿīd ʿUmar Idrīs. (1st ed). Riyadh: Maktabat al-Rushd.
27. Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. 1985. Siyar Aʿlām al-Nubalāʾ. Muḥaqqiq: Majmūʿah min al-Muḥaqqiqīn bi Ishrāf al-Shaykh Shuʿayb al-Arnāʾūṭ. (2nd ed). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
28. Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad. 2003. Tārīkh al-Islām wa Wafayāt al-Mashāhīr wa al-Aʿlām. Muḥaqqiq: Dr. Bashār ʿAwād Maʿrūf. (1st ed). Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī.
29. Al-Zajjājī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Isḥāq. 1986. Ishtiqāq Asmāʾ Allāh. Muḥaqqiq: Dr. ʿAbd al-Ḥusayn al-Mubārak. (2nd ed). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
30. Al-Zurqālī, Khayr al-Dīn. 2002. Al-Aʿlām. (15th ed). Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn.
31. Al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir. 2000. Tayṣīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Manān. Muḥaqqiq: ʿAbd al-Raḥmān ibn Maʿlā al-Luwaiq. (1st ed). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
32. Al-Samʿānī, Manṣūr ibn Muḥammad. 1997. Tafsīr al-Qurʾān. Muḥaqqiq: Yāsir ibn Ibrāhīm wa Ghanīm ibn ʿAbbās ibn Ghanīm. (1st ed). Riyadh: Dār al-Waṭan.
33. Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. 1396. Ṭabaqāt al-Mufassirīn al-ʿIshrīn. Muḥaqqiq: ʿAlī Muḥammad ʿUmar. (1st ed). Cairo: Maktabat Wahbah.
34. Al-Suyūṭī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. [n.d.]. Dhayl Ṭabaqāt al-Ḥafāẓ. Muḥaqqiq: Zakariyyā ʿUmayrāt. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
35. Al-Shāfiʿī, Muḥammad ibn Idrīs. 2006. Tafsīr al-Imām al-Shāfiʿī. Jamʿ wa Muḥaqqiq wa Dirasah: Dr. Aḥmad ibn Muṣṭafā al-Farrān. (1st ed). Riyadh: Dār al-Tadmuriyyah.
36. Al-Shanqīṭī, Muḥammad al-Amīn ibn Muḥammad al-Mukhtār al-Jaknī. 1988. Maʿārīj al-Ṣuʿūd ilā Tafsīr Sūrat Hūd. Kutiba ʿanhu Talīmīdhuh ʿAbd Allāh ibn Aḥmad Qādirī. (1st ed). Jeddah: Dār al-Mujtamaʿ.
37. Al-Shanqīṭī, Muḥammad al-Amīn. [n.d.]. Aḍwāʾ al-Bayān fī Iḍāḥ al-Qurʾān bil-Qurʾān. Beirut: Dār al-Fikr.
38. Al-Shahrastānī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Karīm. 1404. Al-Milal wa al-Niḥal. Muḥaqqiq: Muḥammad Sīd Kīlānī. Beirut: Dār al-Maʿrifah.
39. Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. 2000. Jāmiʿ al-Bayān fī Taʾwīl al-Qurʾān. Muḥaqqiq: Aḥmad Muḥammad Shākir. (1st ed). Beirut: Muʾassasat al-Risālah.
40. ʿAbd al-Laṭīf ibn ʿAbd al-Raḥmān Āl al-Shaykh. 1989. Al-Barāhīn al-Islāmiyyah fī Rud al-Shubhah al-Fārisiyyah. (1st ed). Riyadh: Maktabat al-Hidāyah.

41. ʿAfīfī, ʿAbd al-Razāq. 1420. Mudhakarat al-Tawḥīd. (1st ed). Riyadh: Wizārat al-Shuʾūn al-Islāmiyyah wa al-Awqāf wa al-Daʿwah wa al-Irshād - al-Mamlakah al-ʿArabiyyah al-Suʿūdiyyah.
42. ʿAfīfī, ʿAbd al-Razāq. [n.d.]. Fatāwā wa Risāil Samāḥat al-Shaykh ʿAbd al-Razāq ʿAfīfī - Qism al-ʿAqīdah.
43. Al-Ghāmidī, ʿĪsā ibn ʿAbd Allāh. 2006. Ḥaqīqat al-Mithāl al-Aʿlā wa Āthāruh. (1st ed). Riyadh: Dār Ibn al-Jawzī li al-Nashr wa al-Tawzīʿ.
44. Al-Fāsī, Muḥammad ibn Aḥmad. 1990. Dhayl al-Taqyīd fī Ruwāt al-Sunan wa al-Asānīd. Muḥaqqiq: Kamāl Yūsuf al-Ḥūt. (1st ed). Beirut: Dār al-Ḥikmah.
45. Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn. 1418 . Maḥāsin al-Taʾwīl. Muḥaqqiq: Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd. (1st ed). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
46. Al-Qāḍī, ʿAbd al-Jabbār. 1998 . Sharḥ al-Uṣūl al-Khamsah. Muḥaqqiq: Dr. Fayṣal Badīr ʿUyūn. Kuwait: University of Kuwait.
47. Al-Qinnūjī, Muḥammad Ṣidq Khān. 2007 . Al-Tāj al-Mukallal min Jawāhir Māʾthir al-Ṭarāz al-Ākhir wa al-Awwal. (1st ed). Qatar: Ministry of Awqāf and Islamic Affairs.
48. Maḥfūẓ, Muḥammad. 1994 . Tarājim al-Muʾallifīn al-Tūnsiyyīn. (2nd ed). Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī.
49. Al-Murrī, ʿIṣām ibn ʿAbd al-Munʿim. n.d. Al-Durr al-Thamīn fī Tarjamah Faqīh al-Ummah al-ʿAllāmah Ibn ʿUthaymīn. (1st ed). Alexandria: Dār al-Baṣīrah.
50. Muslim ibn al-Ḥajjāj Abū al-Ḥusayn al-Qushayrī al-Nisābūrī. n.d. Al-Muṣnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min al-Sunan bi Naql al-ʿAdl ʿan al-ʿAdl ʿan Rasūl Allāh. Muḥaqqiq: Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.
51. Nuwayhid, ʿĀdil. 1409 . Muʿjam al-Mufassirīn. (3rd ed). Beirut: Muʾassasat Nuwayhid al-Thaqāfiyyah lil-Taʾlīf wa al-Tarjamah wa al-Nashr.